ابن وهبون الأندلسي

الدكتور صلاح خالص

شخصية ادبية اندلسية فذة وممثل كبير من ممثلي الادب الاندلسي في عصره الزاهر ـ القرن الخامس الهجري ، لم يتهيأ له ان يدرس ويعرض لقراء العربية في العصر الحديث • وربما كان سبب ذلك الرئيس هو قلة المصادر التي بين ايدينا عن حياته وعن شعره ، وحتى الموجود من هذه المصادر فانه لا يزال مخطوطا نادر الوجود صعب المتناول ، لا يتيسر للمتخصصين بله القراء الاطلاع عليه والافادة منه •• ولكن ذااكانت معلوماتنا قليلة عن ابن وهبون، فان هذه المعلومات تدل دلالة واضحة على مركزه الهام في الحياة الادبية ومنزلته الكبيرة بين شعراء عصره وادبائه ، فقد كان في زمانه شاعر بلاط المعتمد بن عباد الاول ، يشيد بامجاده ويسطر مآثره ويتوجع لآلامه وينافح عنه ضد اعدائه ؛ حتى اذا سقط المعتمد عن عرشه أفل نجم ابن وهبون نفسه وانقضت حياته في مأساة سنشير اليها بعد قليل • ومع ذلك فقد شغل نقاد الادب من بعده حتى ان ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة ومؤرخ الادب الاندلسي في القرن الخامس افرد له كتاباً جمع فيه اشعاره وتحدث عن اخباره ووسمه بـ «كتاب الاكليل المشتمل على شعر عبد الجليل» ، هذا الى جانب فصله الطويل عن الشاعر في كتاب الذخيرة • وقد ورد ذكر الشاعر ونبذ من اخباره واشعاره لدى غير ابن بسام من مؤرخي الادب الاندلسي • الا ان هذه الاخبار والاشعار من القلة بحيث لاتكفي لتكوين صورة واضحة عن انتاج هذا الشاعر الكبير وحياته •• ولا شك ان من اسباب ذلك هو عدم وصول كتاب «الاكليل» المشار اليه ، ونأمل ان لايكون قد ضاع الى الابد •

وعلى ذلك فسنحاول استنادا الى هذا القليل الذي بين ايدينا من اخباره واشعاره ان نرسم تخطيطا عاما لشخصية هذا الشاعر الفذ وتحديد اتجاهه الادبي ودوره في الحياة الثقافية في عصره •

اسرته ونشأته

نشأ عبد الجليل بن وهبون في القرن الخامس الهجري ، قرن التفكك السياسي وانحلال الخلافة الاموية وقيام ملوك الطوائف ، ولكنه في الوقت نفسه كان قرن الازدهار الفكري والادبي ، قرن نضوج الشخصية الاندلسية

وتفتحتها ووصول الادب الاندلسي الى ارقى درجات تطوره وقمة ازدهاره • ويدل اغفال المؤرخين المسلمين الحديث عن اسرته وآبائه ، ان هـذه الاسرة وهؤلاء الآباء لم يكونوا ذوي شأن يذكر ؛ والراجح انه كان من اسرة فقيرة متواضعة تسكن مدينة مرسية حيث ولد الشاعر • وربما كانت واحـدة من اسر المولودين المسلمين اهل البلاد الاصليين الذين كانوا يكونون دون شك الاكثرية الساحقة من سكان البلاد آنذاك والذين استوعبوا الثقافة العربيـة الاسلامية وتعلقوا بها واسهموا في تطويرها وازدهارها في شبه جزيرة ايبيريا ، شأنه في ذلك شأن كثير من رجال الفكر والادب الاندلسيين مثـل ابن عمـار وابن اللبانه وغيرهما ••

ولهـذه الفرضية ، أي كون ابن وهبون نشأ في اسرة فقيرة متواضعـة أهميتها في مستقبل حياة الشاعر وتوجيهه الادبي ، فقد كان الادب عنـد ابن وهبون نتيجة لذلك وسيلة للعيش وطريقا للتكسب كما سنرى ذلك واضحـا عند تتبعنا لحياته وانتاجه الادبي • وكان طريق الشهرة والمجد بالنسبة للشعراء الذين ينشأون في الطبقات الفقيرة او بتعبير اوضح بين العـامة ، لابد ان يمر بقصور الاغنياء والامراء حيث تعرض الكفاءات والقابليات الادبية محاولة شق طريقها الى المجد والحظوة بالتقدير والاعجاب •• ويذكر مؤرخو الادب ان ابن وهبون ولد في مدينة مرسية[1] (وهي مدينة ساحلية شرق الاندلس) دون ان يشيروا الى تاريخ هذه الولادة ، وان اسرته قد بقيت هناك[2] • وليس فيما بين ايدينا من شعر عبد الجليل حديثا عن هذه الاسرة او اشارة اليها •

وقد كان السبيل مفتوحا امام وهبون في ذلك العصر الزاهر الذي نضج فيه الادب والفكر وتهيأت وسائل العلم والتعلم ، أقول كان السبيل مفتوحا امام الشاعر منـذ صباه لارتشاف مناهـل العلم واتقان صنعة الادب وامتلاك ادواتها ووسائلها فسار في هذا الطريق ـ كما يبدو ـ بنشاط وحماس كبيرين • ورغم عدم وجود اخبار واضحة عن تربيته الاولى وثقافته • فان دراسة عميقة لشعره تدل بوضوح انه كان واسع الاطلاع على الادب العربي واللغة العربية وانه درس فضلا عن ذلك الفلسفة والمنطق وتأثر بهما تأثيراً كبيرا بدت آثاره واضحة في انتاجه الادبي كما سنرى • ولو حاولنا ان نصنف ابن وهبون مـع غيره من شعراء العربية تبعا لطريقة تفكيره ونظرته للحياة واسلوبه في معالجـة

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثاني ، فصل ابن وهبون
(٢) نفس المصدر ، عبدالواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٠٢

موضوعاته وصياغته الفنية ، أقول لو حاولنا ذلك لوضعناه دون شك في صف الشاعر المتنبي • وما ذلك لانه كان يسير في أثر المتنبي او يقلده ، كما كان يفعل كثير من شعراء الاندلس وغيرهم الذين يحشرون ابياتهم بالحكم المبتذلة والافكار الفلسفية المعروفة ، وانما كان ـ كما يبدو ـ ذا ثقافة فلسفية عميقة واطلاع واسع على المنطق وادراك عميق للحياة وتفهم لحركتها وتجاربها •• كل هذا بالاضافة الى تأثره الذي لاشك فيه بالشاعر المشرقي البارز الذي كان ذا تأثير واسع في الحياة الادبية في الاندلس(٣) •

نشأ ابن وهبون اذن في مرسية • ولكن لا الثقافة التي حصل عليها هناك ولا الشهرة الادبية التي حققها ، لم تكونا لتقنعا شاعرا طموحا مثل ابن وهبون، لذا فقد ترك مدينته في ظروف ، ليس لدينا ما يوضحها ، الى اشبيلية عاصمة دولة بني عباد ، واكثر مراكز الثقافة الاندلسية آنذاك ازدهارا واوسعها مجالا للنشاط الادبي ، حيث اجتمع حول المعتمد ووزيره ابن عمار اكبر شعراء الاندلس وعلمائها في القرن الخامس الهجري،ومنهم العالمان اللغويان الكبيران ابو الحجاج بن عيسى الاعلم وابومروان بن سراج • وفي اشبيلية غدا عبدالجليل بن وهبون التلميذ الدائب المخلص لابي الحجاج الاعلم ولازمه ملازمة وثيقة، وكان لهذه الملازمة كبير الاثر في تكوين ابن وهبون الفكري وتوسيع ثقافته اللغوية والادبية•• وقد لفتت كفاءة هذا التلميذ المواضب الدائب انظار استاذه واهتمامه(٤) ، فقربه وعنى به وفسح له مجال الاتصال بالاوساط العلمية والادبية في اشبيلية والتعرف بكثير من شخصياتها ورجالاتها ، لا سيما والد ابا الحجاج كان استاذا لاولاد المعتمد بن عباد نفسه ومن المقربين اليه • وقد هيأت هذه العلاقة بين الاستاذ والملك للتلميذ كما سنرى فرصة رؤية الملك والمثول بين يديه فكانت تلك المقابلة اولى درجات سلم المجد الادبي الذي ارتقاه الشاعر بعد ذلك •

ابن وهبون قبل لقائه بالمعتمد

لاريب في ان ابن وهبون كان قد نظم كثيرا من الشعر قبل لقائه بالمعتمد ومدحه اياه ، ولكن لم يصل الينا من انتاجه في هذه الفترة الا النزر اليسير ، بل ان المؤرخين الذين تحدثوا عن الشاعر قلما يتعرضون لها او يتحدثون عنها• والسبب في ذلك واضح ، فقد كان الشاعر او الاديب لايلفت اهتمام مؤرخي

(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثاني ، فصل ابن وهبون •